دعوة للتّغيير لإصـلاح الأرواح قبـل الأشـباح في ظِلال أحداث غزّة وما فيها من جِراح

08-12-2023

الْحَمْدُ للهِ وَلِيِّ المؤْمِنِينَ، وَمَوْلَى المُتَّقِينَ، قَـاهِرِ الطُّغَـاةِ وِالْعُتَاةِ وَالْمُجْرِمِينَ، أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَالْحَقِّ المُبِين، وَوَعَدَهُ بِالْعِزَّةِ وَالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ وَالتَّمْكِينِ، أَحْمَـدُهُ سُـبْحَانَهُ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ، نَصَرَ عَبْـدَهُ، وَأَعَـزَّ جُنْـدَهُ، وَهَـزَمَ الأَحْـزَابَ وَحْدَهُ، فسبحانه من إله قويٍّ عزيز؛ جعل عِزّ هـذه الأمّـة مرتبطًـا بالـدين؛ إن أقامتـه تُنصَـر، وإن ضـيّعته تَضـعُف وتشتكي، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلَّا اللـهُ وَحْـدَهُ لاَ شَـرِيكَ لَـهُ، يبتلي عباده بالسرّاء والضرّاء، ويتابع عليهم الفتن والبلاء؛ ليختـبر صِـدقهم وصـبرهم ويسـتخرج دعـاءهم. قـال في سورة سيّدنا محمد صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: ((وَلَـوْ يَشَـاءُ اللـهُ لَانْتَصَـرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُـوَ بَعْضَـكُمْ بِبَعْضٍ)). وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْـدُ اللـهِ وَرَسُـولُهُ، وَصَـفِيُّهُ مِنْ خلْقِهِ وحَبِيبُهُ، أَرْسَـلَهُ إِلَى النَّاسِ مُصْــلِحًا وَمُزَكِّيًـا، وَعَلَى الفَضَــائِلِ دَلِيلاً وَمُرَبِّيًــا، ذُو النَّفْسِ الكَامِلَــةِ السَّــوِيَّةِ، وَالسِّـيرَةِ النَّقِيَّةِ المَرْضِـيَّةِ، خَيْـرُ مَنْ صَـلَّى وَخَشَـعَ، وَذَلَّ لِرَبِّهِ وَخَضَعَ، مَنِ اقتَدَى بِهِ هَدَأَ بَالاً، وَسَعِدَ حَالاً وَمَآلاً،

يا أُمّةً لنبيءٍ نورُه سطعَا * هذا الذي بالهدى والدين قد صدعَا

وعزّ مقداره في المجد وارتفعا * صلّوا على المصطفى يا كلَّ مَن سمِعَا

اللهم صـلِّ وسـلِّم وبـارك على سـيِّدِنا محمـد. مَن كمُلت بـــذِكره الشــهادة. وعلى آلـــه ذوي المجـــد والســـيادة. وصحابته أهل النُّسُك والعبادة. صـلاة تمنحنـا بهـا لطـائف العلوم والإفادة. وتتوّجنا بها بتاج العـزّ واليُمن والسـعادة. وتحفظنا بها من الموانع القاطعـة عن الوصـول إليـك في البدء والإعادة. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يـا رب العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسـلمون. نواصـل الحـديث مثقَلِين بمخلَّفات ما نرى ونسـمع عن أحـوال المسـلمين في غزّة. في أرض المسجد الأقصى المقـدَّس. منطلِقين من آلام استوطنت القلب. لتتـدفَّق على الجـوارح. فيعبِّر اللسان. ويُترجِم القلم والبنـان، وذلـك أقـلّ الـواجب في زمن الخذلان. إنه لا يمكن أبداً لأيِّ مسلم صادقٍ أن يغضّ الطرف عمّـا يجـري في غـزّة من أحـداث. لا يمكن أبـدًا. لأنّ من تجليّـات الأخـوّة الإيمانيـة المشـاركة في الأفـراح والأحـــزان. لقـــول ربنـــا في ســـورة الحجـــرات: ((إِنَّمَـــا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)). ولقول رسولنا ومعلِّمنا صلى الله عليه وسلم كمـا في الحـديث الصـحيح عن النعمـان بن بشـير رضي الله عنهما قال: قال رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وســـلم: ((مَثَـــلُ المُـــؤْمِنِينَ في تَـــوَادِّهِمْ وتَـــرَاحُمِهِمْ وتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ إذا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْـوٌ تَـدَاعَى لـه سَائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ والحُمَّى)). إذاً فإنّ الأمر من صـميم الإيمـان. وليس هـو من قَبِيـل نَشْـر الأحـزان. أو إحيـاء الأشجان، وليس هو من قَبِيـل عَـرْض الوقـائع والفظـائع. لتستقبحها النفوس. وتمجّها الطبائع. ثم يقـف الأمـر عنـد هــذا. لقــد تحمّس الجميــع. وردّدوا الهتافــات. وتعــالت الأصوات. وتوالت الصرخات، وما زالت الأوضاع كمـا هي

في غزّة. والظـالمون ينتهكـون الحرمـات. والعـالَم يتـابع التطـوّرات. والمسـلمون في الأرض الطـاهرة المقدَّسـة يُحاصـرون ويُغتـالون. ويُعتقَلـون ويُمتهَنـون. ويُقصَـفون ويُعـدَمون. ومـاذا بعـد؟!! أيّهـا المسـلمون. هـل نحن مسـتعدّون للتغيـير الآن. ونحن نسـمع قولـه تعـالى في سورة الرعـد: ((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَـا بِقَـوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَـا بِأَنْفُسِهِمْ)). من هنا نبدأ. من هنا تبـدأ الأمّـة إذا أرادت أن تستعدّ عزّتهـا الـتي ضـيّعتها في نفسـها. يـوم أن ضـيّعت أوامر ربها. وهجرت كتاب خالقها. وسنّة نبيّها. صـلى اللـه عليه وسـلم. قـال تعـالى في سـورة آل عمـران: ((أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْـدِ أَنْفُسِـكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُـلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ)). وخلاصـة القول: والقول موجَّه لكـل مسـلم. لا تقـل من أين نبـدأ. أنت البدايـة. أنت البـذرة الطيّبـة. أنت أمـل الأمّـة. أنت الحَلّ. أنت الشمعة التي تُضيء الظلمـة. لا تقـل من أين نبـدأ، بـل قـل: أنـا أبـدأ. نعم. أيّهـا المسـلمون. هـذا هـو المشروع الذي نواجه به كيد أعداء الله. الـذين يواصـلون الليل بالنهار من أجل الفتك بالمسلمين. والقضـاء عليهم. فماذا نحن فاعلون؟؟

يا أمّة الحق والآلام مُقبِلة * متى تَعِينَ ونار الشر تستعرُ؟!

متى يعـود إلى الإسلام مسجده؟! * متَى يعود إلى مِحرابه عمرُ؟!

أكلَّ يـومٍ يُرى للديـن نازلـةٌ؟ * وأمّة الْحق لا سَمْع ولا بصرُ؟

فلــنرفع الغطــاء عن أنفســنا، ولنكشــف الغشــاوة عن أبصــارنا، ولنفتح بــالوعي أذهاننــا، ولتكن حياتنــا ملؤهــا التواصــــي بــــالحق والمصــــارحة. والتناصــــح في اللــــه والمكاشفة. أيّها المسلمون. أما آن للأمّــة أن تقــرأ قــول الله تعالى في سورة آل عمران: ((يَا أَيُّهَــا الَّذِينَ آَمَنُــوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَــدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُــدُورُهُمْ أَكْبَــرُ قَــدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآَيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ هَــا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَــالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْــظِ قُــلْ مُوتُــوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَــنَةٌ تَسُــؤْهُمْ وَإِنْ تُصِــبْكُمْ سَــيِّئَةٌ يَفْرَحُــوا بِهَــا وَإِنْ تَصْــبِرُوا وَتَتَّقُــوا لَا يَضِرْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)). هــا هــو الحل لمن يطلبه. ها هو العلاج لمن يريده: ((وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُــوا)). الصــبر وحــده لا يكفي. (وَإِنْ تَصْــبِرُوا وَتَتَّقُــوا لَا يَضِرْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيــطٌ)). الصــبر والتقــوى هــذا هــو العلاج الــذي تنهــار أمامــه كــل أنــواع الطَّعن. وتنهزم أمامه كل ألوان الكَيد والمكــر. ولكن أين مَن يستمع. وأين مَن يتّعظ؟!! لا نــزال نتعلّــق بالكــافرين في حلّ مشاكلنا. وأنتم تــرَوْن اليــوم العــالَم كلّه يــرى مــا يتعرّض له أحبابنا وإخواننــا في غــزّة. من مجــازر. وقتْــل. وذبْح. واغتصاب. ولا يحرِّكوا ساكنًا، وإذا تكلّم كان صــمْته أَوْلى من الكلام.

قتلٌ وتشريدٌ وهتكُ محارم * فينا وكأس الحادثات دِهاقُ

وحشيةٌ يقف الخيال أمامها * متضائلا وتمجّها الأذواقُ

أين النظام العالميّ أَمَا له * أثرٌ ألمْ تنعق به الأبواقُ

أين السلام العالميّ لقد بدا * كَذِب السلام وزاغت الأحداقُ

أيّها المسلمون. طريق واحد هو الطريـق الصـحيح. لا بـد من العلم والحكمـة. فالوصـول للعِـزّة ليس أمـرًا سـهلاً، وطريقه ليس طريقًا معبَّدًا، ولكن علينـا أن نعـرف بدايـة الطريق. فبدايته وقفة. نعم. وقفة صادقة مع هذه النفس الضـعيفة، هـذه الوقفـة الصـادقة بـدايتها التوبـة النصـوح والعمل الصادق. من هنا من أنفسنا البدايـة، ولنبتعـد عن إلقاء التُّهَم على الآخَـرين وتبرئـة أنفسـنا، لنكن صـالحين في أنفسنا مصلحين لغيرنا. فهـذه هي البدايـة. وهـذا هـو الطريق الصحيح. والإتّجـاه السـليم. وليكن شـعارنا قـول ربنا في سورة الأنعام: ((قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَـايَ وَمَمَاتِيَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِـذَلِكَ أُمِـرْتُ وَأَنَـا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)). أيّها المسلمون. قال تعـالى في سـورة سيّدنا محمد صلى الله عليه وآله وسـلم: ((يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُـرُوا اللَّهَ يَنْصُـرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْـدَامَكُمْ))، وأخـبر تعـالى أنـه لن ينصـر إلا أهـل الطاعـة والإيمـان. لا أهـل الفجور والخِذلان، فقال وهو الرحيم الـرحمن في سـورة غـافر: ((إِنَّا لَنَنْصُـرُ رُسُـلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُـوا فِي الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ)). وبيّن لنا سـبحانه أنـه إن تولّيْنـا عن نصرة دينه. ورَفْع رايته. فإنه يستبدل قومًا يقومون بحـق الله وبنصرة دينه. فقـال في سـورة سـيّدنا محمـد صـلى الله عليه وآله وسلم: ((وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًـا غَيْـرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُـوا أَمْثَـالَكُمْ)). أيّهـا المسـلمون. تـأمّلوا رحمكم

الله. وانظروا إلى بلاد المسلمين كم فيها من مخالفات شرعية في جميع الأصعدة. إلا مَن رحم ربك، ثم مع هذا نريد نَصْر الله وأن يَهزِم عدوّنا، ويكفّ شره. ويكبِتَ أمره!!! أخرج ابن ماجه والحاكم والبيهقي بسندٍ صحيح. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، رضي الله عنهما قَالَ: ((أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يا معشرَ المُهاجِرينَ، خِصالٌ خمْسٌ إذا نزلْنَ بكم. وأعوذُ باللهِ أنْ تُدْرِكوهنَّ: لم تظهَرِ الفاحشةُ في قومٍ قطُّ حتَّى يُعْلِنوا بها، إلَّا فشا فيهم الطَّاعونُ والأَوْجاعُ الَّتي لم تكُنْ مضَتْ في أسلافِهِم الَّذين مَضَوْا قبلَهم، ولا انتقَصوا المكيالَ والميزانَ، إلَّا أُخِذُوا بالسِّنينَ وشِدَّةِ المؤنةِ وجَوْرِ السُّلطانِ عليهم، ولم يَمْنعوا زكاةَ أموالِهم، إلَّا مُنِعُوا القَطْرَ من السَّماءِ، ولَوْلاَ البهائمُ لم يُمْطَروا، ولم يَنْقضوا عهدَ اللهِ وعهدَ رسولِه، إلَّا سلَّطَ اللهُ عليهم عدُوًّا من غيرِهم، فأخَذَ بعضَ ما في أيديهم، وما لم يَحْكمْ أئمَّتُهم بما أنزَلَ اللهُ وتَخيَّروا فيما أنزَلَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ، إلَّا جعَلَ اللهُ بأسَهم بينهم)). فكل هذه المخالفات فينا. وكل هذه العقوبات المرتبطة بها حلّت بوادينا. ((جَزَاءً وِفَاقًا)). وخلاصة القول: فالبكاء على بلاد المسلمين دون عمل وتوبة صادقة لا يحقِّق نصرًا، ولا يعيد أثرًا، وقد قيل في المثل: (إيقاد شمعة خير من لعن الظلام). أيّها المسلمون. فلنبدأ بالتغيير والعمل، ولنترك لَوْم الزمان والدهر، فهو فِعْل الفاشلين العاجزين، وقد روت لنا كُتُب التاريخ. وذكر ابن كثير في كتابه البداية والنهاية: أنه في أعقاب معركة اليرموك الشهيرة. وقف مَلِك الروم يسأل فلول جيشه المهزوم. والمرارة تعتصر في قلبه. والغيظ

يملأ صدره. قال لهم: (ويلكم! أخبروني عن هـؤلاء الـذين يقاتلونكم أليسـوا بشـرًا مثلكم؟ قـالوا: بلى أيهـا الملـك، قـال: أأنتم أكـثر أم هم؟ قـالوا: نحن أكـثر منهم في كـل موطن، قال: فما بـالكم إذاً تنهزمـون؟ فأجابـه شـيخ من عظمائهم: إنهم يهزموننا لأنهم يقومون الليـل ويصـومون النهار، ويوفون بالعهـد، ويتناصـفون بينهم، أقـاموا العـدل فيما بينهم). كانوا يُنصَرُون لأنهم كانوا يحملون همّ الدين، واليوم إسأل كل مسلم من المسلمين، سَلْه من صـباحه إلى مسائه فيما تفكِّر؟ مـا الـذي يشـغل قلبـك؟ مـا الهمّ الـذي تحملـه؟ سـتجد أنّ الهمّ الـذي يحملـه النـاس في الغالب: الوظيفة، المعاش، الزوجة، الأولاد، هـذا بالنسـبة للعقلاء فينا، أم غيرهم فتجد أمـورًا أخـرى لا تسـتحق أن تُذكر، هذا هو الهمّ في الغـالب، ثم مـاذا؟ ثم لا شـيء!!! أيّها المسلمون. ألا يحزننا الظلم الواقع على هـذه الأمّـة، وأرض فلسطين وغـزّة خـير دليـل وأصـدق شـاهد!! هـذا القتـل الجمـاعي. والإغتصـاب الجمـاعي. والتواطـؤ الجماعي. والخِذلان الجماعي، ألا يحزننا هذا؟ ألا يحزّ في صدورنا؟ ألا يمنع النـوم من أعيننـا؟ إذاً أيّهـا الأحبـاب من هنا يبـدأ الإصـلاح. من عـالم الأرواح قبـل عـالم الأشـباح، ومن العقائد والأخلاق. قبل القناطر والأنفاق. قال تعـالى في سورة الأعراف: ((وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَـابِ وَأَقَـامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ)). نسـأل اللـه سـبحانه وتعـالى أن يرزقنـا القيـام بحـق إخواننـا المستضـعفين والمظلـومين في كـل مكـان، وأن يجعلنـا ممن ينصـرون إخوانهم في الـدين والعقيـدة، إنـه سـميع مجيب الـدعاء. اللهم كن لأهلنا في فلسـطين والأقصـى وغـزة، اللهم إنّ

البلاء قد اشـتد عليهم، وتـوالت عليهم النكبـات، وتكـالبت عليهم الأُمم، اللهم ارحم ضـــعفهم. وارفـــع البلاء عنهم، واخــذل عــدوّهم ومن بغى عليهم، اللهم اجــبر كســرهم، وأطعم جائعهم، واسقي ظامئهم، واحمل حافيهم، واكس عـاريهم، وداوِ جرحــاهم، وارحم موتـاهم، واكتبهم عنـدك من الشهداء الأبرار، اللهم لا تســلّط عليهم من لا يخافـك ولا يــرحمهم. اللهم ألّــف بين قلــوبهم. واجمــع كلمتهم. ووحّد صفوفهم على من بغى عليهم. اللهم أعــز الإســلام وانصــر المســلمين، واحم حــوزة الــدين، ودمّــر أعــداءك أعــداء الــدين، اللهم اجعــل كلمتــك هي العليــا إلى يــوم الدين، اللهم اغفر ذنوبنـا. واسـتر عيوبنـا، ونفّس كروبنـا. وعـاف مبتلانـا. واشـف مرضـانا، وارحم والـدينا وموتانـا. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. وآخــر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين. اهـ